حملة الجنوية والقطلان الصليبية على مدينة طرطوشـــــة الاسلاميـــة

(١١٤٨م / ٥٤٣هـ)

دكتور
مصطفى حسن محمد الكنـانى
أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد
كلية الآداب بسوهاج - جامعة أســيوط

لا ريب أن النجاح المؤقت الذى حققته بعض الحملات الصليبية، والتى التحم فيها العالم الاسلامى فى المشرق والمغرب والأندلس مـــن جانب ، والقوى اللاتينية الأوربية من جانب آخر ، فى صراع دام مريـــر على امتداد العصور الوسطى ، والتى لازلنا نعانى من آثارها حتى لحظتنا هذه ، لم يكن مرده قوة المعتدين ، بل تفكك المسلمين وتصارعهـــم سياسيا ومذهبيا من جهة ، ودور القوى الأوربية الايطالية فيها بعامـــة ، والجنوية بخاصة من جانب آخر ، ناهيك عن دور البابوية فى تأجيـــج نيرانها وتشجيعها ، أملا فى السيطرة على العالم الاسلامى ، وكثلكتـــه بما فيه من ذميين (مسيحيين ويهود) من جانب ثالث [١] .

والحقيقة أن دور جنوة الصليبى فى هذا الصدد ، موضوع صعـــب ومعقد ، وذلك لتشابكه مع أدوار القوى الاسلامية والصليبية الأخـــرى ، المؤثرة على مسرح الاحداث ، ومما يعنى حتمية كشف الباحث عن دور كـــل منها ، وعقد المقارنات بينها وصولا الى الحقيقة التاريخية المجـــردة . ولقد زاد من صعوبته ، أن أغلب مصادره لازالت فى غياهب ارشيفـــات أوربا ، وهى مدونة بلغاتها الأصلية : اللاتينية أو الايطالية القديمـــة أو الفرنسية القديمة . أضف الى ذلك أن أغلب ما كتب عن هذا الدور قديمـــا وحديثا ، لم يتعد سطرا أو بعض سطر ، أو صفحة أو صفحات قليلة فـــى

النادر ، ومما لا يروى غُلل الباحثين • هذا ، ولقد وفقنا بعون الله فى كشف حقيقة هذا الدور فى المشرق والمغرب ، من خلال أبحاث أعدت فى هذا الصدد (٢) • أما دور الجنوية وغيرهم من القوى الصليبية الأسبانية فى الحروب الصليبية فى الأندلس ، والتى درج المؤرخون الغربيون والمستشرقون على تعريفها زورا وبهتانا باسم حروب الاسترداد Reconquista بعامة ، والحملة موضوع البحث بخاصة ، فان الأضواء لم تلق عليه بعد ، خاصة وأن مصادره لازالت حبيسة الأرشيفات الأوربية ناهيك عن صمت المصادر العربية عن الاشارة اليه • من هذا المنطلق كان اختيارنا لموضوع البحث ، وجعلناه تحت عنوان : حملة الجنوية والقطلان الصليبية على مدينة طرطوشة الاسلامية ١١٤٨م/٥٤٣ (٣) .

وقبل الخوض فى تفصيلات الأحداث ، لابد من العودة قليلا الى الوراء ، والاشارة بتركيز شديد الى الأحوال العامة السائدة على مسرح الأحداث فى الأندلس ، لما فى ذلك من أهمية فى كشف الستر عن بعض أحداثها بعامة ، ومقدماتها وأسبابها على وجه الخصوص •

فلقد حدث فى نفس الوقت الذى كان فيه المرابطون يجاهدون الأسبان فى الأندلس ، أن شبت نيران ثورة عارمة ضدهم فى المغرب ، بزعامة محمد بن تومرت زعيم الموحدين (٤) ، هددت ملكهم بالزوال ،كما أصابت حركة الجهاد فى الأندلس بالشلل ، خاصة وأن المرابطين قد اضطروا لنقل غالبية قواتهم منها ، لمواجهة خطر الموحدين •

وبموت أمير المسلمين على بن يوسف المرابطى (١١٣٩م/ ٥٣٣هـ) ، خلفه ولده تاشفين ، الذى استدعى المزيد من قوات الأندلس لتوالى هزائمه على أيدى الموحدين ، مما ساعد على قيام الثورة ضده ، بسبب ضعف تواجد المرابطين العسكرى هناك • هذا ، ولقد قامت تلك الثورة أولا فى غربى الأندلس ، على أيدى جماعة من المريدين الصوفية ، بزعامة الشيخ أبى القاسم احمد بن قسى فى مرتلة ، وانتشرت منها الى شلب ويابرة ، ولبلة ، وباجة ، وقرطبة ، ومالقة ، ثم انتقلت الى الشرق (٥) .

وفى عام ١١٤٥م/٥٣٩هـ ، وعقب مصرع تاشفين على أيدى الموحدين فى وهران ، نشطت الثورة . وعلى امتداد الفترة من عام ١١٤٥م/٥٣٩هـ حتى عام ١١٤٦م/٥٤١هـ ، استقلت أكثر من ثلاثين مدينة أندلسية عن سيادة المرابطين ، فانتزى كل أمير بولايته ، وقام عصر دويلات الطوائف المتصارعة من جديد . وكان من بين أقوى هؤلاء الثوار جميعا ، محمد بن سعد بن مردنيش ، الذى قام فى بلنسية ومرسية ، ثم بسط نفوذه على ولاية شرقى الأندلس كلها ، بما فيها طرطوشة هدف الحملة موضوع البحث ، وذلك فى عام ١١٤٧م/٥٤٢هـ . ولقد زاد من قوته وسلطانه ، تحالفه مع الجنوية وألفونسو السابع ملك قشتالة وريموند برنجيير الرابع كونت برشلونة وأمير أراجون ، ضد القوى الاسلامية المنافسة له ، وعلى رأسها الموحدين (٦) ، مما كان له أكبر الأثر فى اتاحة الفرصة للقوى الصليبية المذكورة ، لتحقيق أطماعها التوسعية على حساب المسلمين . وكانت المحصلة اتفاق الجنوية مع البابا ايوجين الثالث (١١٤٥-١١٥٣م) على القيام بحملة صليبية ضد القواعد الاسلامية فى جزر البليار وألمرية وطرطوشه . هذا ، وتؤكد المصادر أن البابا قد دعا ألفونسو السابع وريموند برنجيير لمناصرة الجنوية ، الذين كانوا يتحرقون شوقا منذ سنوات عديدة ، هم وريموند برنجيير بالذات ، للثأر من سكان تلك القواعد ، لما أصابهم من أضرار على أيديهم ، فضلا عن شهرتها وأهميتها التجارية العالمية (٧) . هذا ، وتؤكد نفس المصادر أن الجنوية قد أرسلوا الى البابا مكتوبا ، أوضحوا فيه أنهم سوف يعدون تلك الحملة ، ويقومون بها " باسم الرب ، ذبّا عن العقيدة " الكاثوليكية (وارضاء للبابوية ، وتحقيقا لمجد الأمة " ، بصفتهم جند للرب وأعداء للملاحدة (المسلمين) ! (٨) .

حدث ذلك رغم معرفتهم بخضوع السكان فى تلك المدن لسلطان حليفهم ابن مردنيش . فكان أن أعد الجنوية حملتهم الأولى فى عام ١١٤٦م/٥٤٠ - ٥٤١هـ ضد جزر البليار (ميورقة) وألمرية ، والتى رغم نجاح هجومهم عليها ، وحيث نهبوا وسلبوا وأسروا ، الا أنهم فشلوا فى

فى احتلال المرية ، واضطروا للعودة الى جنوة ، على أن يعـــــودوا لمهاجمتها فى العام التالى (١١٤٧م/٥٤١ ــ ٥٤٢ هـ) بحملة يعدونهـــا باحكام (٩) .

وجدير بالذكر أن كفارو الكاسكيفلونى Caffaro di Caschifelone قائد الحملة المذكورة ، أثناء حصار المرية ، كان قد أرسل مبعوثيه فى شهر سبتمبر ١١٤٦م / ربيع ثانى ٥٤١ هـ ، الى كل مـــن ألفونسو السابع Alfonso VII ملك قشتالة ، وريموند برنجيير Ramon Berenguer كونت برشلونة وأمير أراجون ، للاتفـــــاق معهما على الاسهام معه فى الحملة المزمع قيام جنوة بها فى العام التالى كما أسلفنا ، ولقد أكدت الوثائق أن ريموند ، قد اهتبل الفرصة ووافـــق الجنوية ، مقابل اسهامهم معه فى احتلال طرطوشة بعد احتلالهم المرية ، نظير " منحهم ثلثها هى وغيرها من المدن التى سوف يساهمون فـــــى احتلالها معه " ، فضلا عن " اعفائهم من كافة الرسوم والضرائـــــب " المفروضة على غيرهم من التجار ، ناهيك عن منحهم حق ملكية " فنـــدق وحمام ومخبز وحديقة غناء وكنيسة فى طرطوشة وغيرها من المـــــدن " . وبالمثل وافقهم ألفونسو على مطالبهم ، مقابل حصولهم على ثلث مدينـــة المرية وعدة حقوق وامتيازات مماثلة لاتفاقهم مع ريموند ، مقابل حصـــول ألفونسو على الثلثين الباقيين (١٠) .

أيـا مَا كان الأمر ، وفى مايو ١١٤٧م/ ذى الحجة ٥٤١ هـ ، أبحـــر الأسطول الجنوى فى طريقه الى ألمرية ، فحاصرها ، ومهما كانت تفصيلات الأحداث ، فلقد نجح الجنوية فى اقتحام المدينة عنوة ، بعد مذبحـــــة بشرية أكدتها مصادر شهود العيان الجنوية ذاتها ، كما نهبوا ثـــروات لا حصر لها وأسروا الآلاف من النساء والأطفال والفتيات والشباب (١١) . هـذا وبعد أن وطد الجنوية نفوذهم فى المدينة ، أبحروا فى طريقهم الى برشلونه بصحبة الكونت ريموند برنجيير ، تمهيدا لاحتلال طرطوشة (١٢) هـــدف الحملة موضوع البحث ، تنفيذا لاتفاقه السابق معهم .

وهنا ثمة تساؤل يطرح نفسه علينا ، أملا فى اجابة شافية ، ألا وهو : ما الأسباب التى حدت بالجنوية والكونت المذكور لاحتلال طرطوشة ؟ بادىء ذى بدء وقبل الاجابة ، ينبغى الاشارة الى أن طرطوشة كانت احدى القواعد التى خطط الجنوية لاحتلالها بتعضيد البابوية ، للثأر من مسلميها ، وتدمير أسطولها ودار صناعتها المشهورة . ولعلنا قد أوضحنا الأسباب التى حدت بالجنوية لاعداد تلك الحملة ، من خلال العرض السريع المركز ، الذى أشرنا اليه سابقا ، والخاص بكشف الستر عن دوافعهم من وراء اعداد حملتى ميورقة وألمرية (١١٤٦ ـ ١١٤٧ م / ٥٤٠ ـ ٥٤٢ هـ) (١٣) . ومن ثم ، فلا داعى لتكرار الاشارة اليها هنا .

واذا انتقلنا الى الجانب القطلانى ، أو بالأحرى الى الكونت ريموند ، لكشف دوافعه فى هذا الشأن ، نلحظ أن ثمة أسباب قد هيمنت عليه ، ودفعته لاحتلال طرطوشة ، تتلخص فى تطلعه لبسط سلطانه على منطقة الثغر الأعلى ، باحتلال بقية قلاعها ومدنها التى لا تزال بأيدى المسلمين ، فى طرطوشة ولاردة وافراغة ، فضلا عن جزر البليار ، مما يعنى اتساع رقعة أملاكه ، ومن ثم ازدياد نفوذه السياسى ، وارتفاع مكانته بين أقرانه الملوك الاسبان بعامة ، والصديق العدو ألفونسو السابع القشتالى بخاصة . هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، وبما عرف عن القطلانيين من اهتمام بالتجارة ، ولمكانة طرطوشة فى ميدان التجارة العالمية ، وضع الكونت ريموند نصب عينيه حتمية احتلالها ان عاجلا أو آجلا ، طمعا فى ازدياد دخله من الرسوم المتحصلة على تجارتها . فكان أن انتهز فرصة طلب الجنوية مساعدته اياهم فى حملتهم ضد ألمرية ، فاتفق معهم على احتلال طرطوشة فى المقابل . ويأتى فوق ذلك كله سبب آخر ، طالما سعى ريموند وأجداده ، فضلا عن ملوك أراجون من قبل ، الى تحقيقه باحتلاله طرطوشة ، وأعنى سعيهم الدائب لتأمين طريق الملاحة الواصل فيما بين أراجون والبحر الأبيض المتوسط عبر نهر الابرو ، والتى تقع طرطوشة قرب مصبه على ضفته اليسرى ، من أجل كفالة الأمن

والأمان للتجار الأراجونيين والقطلان . وجدير بالذكر أن اهتمامات ريموند بتحقيق هذا الأمل ، قد ازدادت عقب خضوع أراجون لسلطانه ، بزواجه من الأميرة الطفلة بترونيلا ابنة راميرو الراهب ملك أراجون السابق ووريثة عرشه ، وكان الأخير قد تنازل لريموند عن أراجون بمقتضى هذا النسب (١٤) .

على أية حال ، وعقب وصول الأسطول الجنوى كما أسلفنا أقام الجنوية معسكرهم ، الذى تحول الى خلايا نحل ملكاتها القادة الجنوية ، والشغالة هم المقاتلون ، الذين بدأوا يجمعون أخشاب الصنوبر من الأحراش المجاورة ، لاعداد الأبراج المتحركة والمجانيق ، والكباش اللازمة لاقتحام المدينة . في نفس الوقت أرسلت سفارة الى القومون الجنوى ، لارسال المزيد من الامدادات والمقاتلة (١٥) .

وتؤكد المصادر أن القومون قد عقد اجتماعا ، قرر فيه ارسال الامدادات المطلوبة ، كما وجه رسالة الى البابا لتوجيه نداء الى الدول الأوربية للاسهام فى الحملة ، فضلا عن مباركته لجهودهم فى هذا الصدد ، وقد تم ذلك بالفعل واستجاب لنداء البابا كل من وليام صاحب مونبليه (١٦) Guglielmo di Montpellier الفرنسى ، الذى حضر بقواته ، وكذلك لبى النداء بعض القادة والفرسان الانجليز والألمان ، فضلا عن فرسان المعبد ، وكانوا قد ساهموا من قبل مع ألفونسو هنريكز ملك البرتغال فى احتلال لشبونة وطرد المسلمين منها . وبوصول المذكورين آنفا من جهة ، واكتمال اعداد الجنوية معدات القتال اللازمة ، ناهيك عن وصول الامدادات المطلوبة من جنوة ، استعد الجميع لتلقى الأوامر الخاصة بحصار المدينة ، ايذانا بدخول المعركة (١٧) .

وجدير بالذكر ، أن القادة الجنوية قد عقدوا مجلسهم الحربى عقب وصول الامدادات بحضور كونت ريموند ووليام دى مونبليه وبقية القادة المساهمين فى الحملة ، لاتخاذ القرارات الخاصة بالقتال ، ولقد انفض المجلس بعد اقراره بنود خطته على النحو الآتى :

١ ــ يتحرك الأسطول الجنوى عبر نهر الابرو ، على أن يصحبه الفرسان الأرجوانيون بحذائه برا ، فى طريقهم الى طرطوشة .

٢ ــ يتم فرض الحصار على المدينة يوم الخميس الأول من يوليو ١١٤٨م / الحادى عشر من المحرم ٥٤٣هـ ، والعمل على استفزاز حاميتها لاجبارها على الخروج فى توقيت مناسب ، والالتحام معها فى معركة رجل لرجل بالأيدى والأسلحة المختلفة .

٣ ــ يتم الجنوية اعداد ما تبقى من الأبراج المتحركة والمجانيق ، مع وضعها فى الأماكن المخصصة لها على التلال المحيطة بالمدينة .

٤ ــ يساهم الجميع فى طمّ الخندق المحيط بالمدينة (عمقه أربعة وستون قدما ، وعرضه أربعة وثمانون) ، لتسهيل عملية الاقتحام .

٥ ــ تنتقى جماعة ، وتكلف بالتجسس على أحوال المدينة ، وتحديد مواطن ضعف وقوة تحصيناتها قبل البدء فى الحصار (١٨) .

وعلى الفور ، بدأ تنفيذ البند الخامس من القرار ، فضلا عن اسهامهم جميعا ، القادة والأمراء والنبلاء فى جمع الأخشاب والحجارة اللازمة لردم الخندق ، وقد تم ذلك بالفعل فى زمن قياسى ، رغم تساقط الحجارة والسهام عليهم من قبل الحامية (١٩) .

هذا ، وبعد طم الخندق عبره المقاتلة الجنوية وحلفاؤهم بحدهم وحديدهم ، وحيث تم وضع المعدات الحربية فى أماكنها المحددة ، ونظمت القوات على النحو الآتى :

١ ــ وضع نصف المقاتلة الجنوية ، ونصف أقرانهم القطلان فى السهل المحيط بالمدينة من الجهات القريبة من نهر الابرو .

٢ ــ كلف النصفان الآخران بالتمركز على الجبل المطل عليها من الناحيتين الغربية والجنوبية ، على أن يصطحبهما الكونت

٣ ـ كلفت القوات الانجليزية والألمانية وفرسان المعبد ، بالتمركز فوق التل المطل عليها من الجنوب والجنوب الشرقى (٢٠) .

وفى اليوم المحدد (الخميس أول يوليو / الحادى عشر من صفر) تم فرض الحصار على طرطوشة ، وصدرت الأوامر الحازمة بعدم الهجوم الا بأمر من القادة . لكن حدث أن قامت قوة كبيرة من المقاتلين الشباب الجنوية المتحمسين للقتال قدرها البعض بثلاثمائة مقاتل (٢١) اندفعوا من بين الصفوف ، فهاجموا المدينة دون انتظار للأوامر . فكان أن تصدت لهم قوة انتحارية من المسلمين ، والتحمت معهم فى معركة شرسة ، استمرت حتى الساعة الثالثة من صباح اليوم التالى ، فهزمتهم شر هزيمة ، وسقطوا ما بين قتيل أو جريح فى النزع الأخير ، مما أثار ثائرة زملائهم ، الذين لم يحركوا ساكنا ، احتراما لأوامر قادتهم (٢٢) .

ومع اشراقة الصباح (الجمعة الثانى من يوليو / الثانى عشر من صفر) صدرت الأوامر الخاصة " بالهجوم الثأرى ، مع التركيز على ضرب أسوار المدينة وقلعتها وأبراجها ، وكافة أحيائها ومسجدها ، بعنف وبلا توقف " ، ولقد نفذت الأوامر بالفعل ، واحتدمت المعركة ، وبدأ القصف المتبادل بالمجانيق ، مع الرمى بالنبال والأحجار واللهب . وتحرك برجان متحركان بداخل كل منهما ثلاثمائة جندى جنوى وخلفهما الكباش فى حمى الشباك المجدولة من الحبال ، لصد القذائف الموجهة ضدهم من قبل الحامية . هذا ، وقد أكدت روايات شهود العيان والمصادر أن المعركة بلغت حدا من العنف والحدة ، لدرجة تدمير أربعين برجا من أبراج المدينة ، وفى المقابل أكدت نفس المصادر أن المسلمين قد واجهوا الهجوم ببسالة منقطعة النظير ، وحيث كانت ضرباتهم قاتلة ، فدمروا أحد الأبراج بمقاتليه ، وأحدثوا خسائر كبيرة فى صفوف المهاجمين ، الذين دب اليأس فى نفوسهم ، خاصة وأن هجماتهم فشلت فى احداث ثلمات فى الأسوار ، رغم عنفها واستمرارها ليل نهار على امتداد أيام

عديدة (٢٣) .

وكانت المحصلة أن خارت قواهم وانهارت معنوياتهم ، لدرجة أن كافة الأمراء والقادة المساهمين فى الحملة قد قرروا الانسحاب ، والعودة من حيث أتوا ، ليأسهم من جدوى اقتحام المدينة ، لمتانة أسوارها الصخرية وأبوابها المدرعة ، وقد تم ذلك بالفعل ، وانسحب المذكورون ، وتركوا الكونت ريموند وحده هو وعشرين من حرسه الخاص (٢٤) . فكان أن أسقط فى يدى الكونت ، وجن جنونه وانهارت أعصابه ، وشل تفكيره ، فعزم على الانسحاب لكن الجنوية " جند الرب وأعداء الملاحدة " منعوه ، ووعدوه بعدم خذلانه كالآخرين ، وأقسموا على القتال باسمه حتى النصر ، فكان أن عاد الأمل الى الكونت وعدل عن قراره . وهنا ، واحتراما منه لموقف الجنوية البطولى هذا ، أصدر ريموند عدة قرارات منح الجنوية بمقتضاها المزيد من الامتيازات والهبات تقديرا لدورهم المرتقب فى احتلال المدينة ، واعترافا منه بوفائهم النادر ، خاصة وأن شتى المحاولات الصليبية السابقة لاحتلالها قد فشلت ، أما الجنوية الأوفياء ، فسوف يحققون الحلم (٢٥) .

ومن جانب آخر ، وتحفيزا لهم على مواصلة القتال حتى سقوط المدينة ، وكسبا لود المندوب البابوى المصاحب للحملة ، رئيس أساقفة جنوه برنارد تراخون Bernardi Tarrachonensis منح ريموند الجنوية ثلثى الجزيرة المواجهة لطرطوشة والقريبة من مصب نهر الابرو ، وقد تم تكريسها لكنيسة القديس لورنزو S. Lorenzo فى جنوة ، ولقد صدر المرسوم الخاص بذلك فى نوفمبر ١١٤٨م / رجب - شعبان ٥٤٣ هـ (٢٦) . هذا ، ولقد شكر القادة الجنوية ريموند على بادرته الطيبة تلك ، ثم قاموا من فورهم ، فعقدوا مجلسهم الحربى ، وقرروا تعديل خطتهم السابقة بأخرى ، تلخصت فى الكف عن تدمير الأبراج ، حتى لا تستنزف قواهم ، وطالبوا المقاتلة الجنوية بتركيز هجومهم على البرج الرئيسى القريب من المسجد الجامع ، على أن يتم ذلك فى نفس الوقت الذى تزحف فيه بقية المقاتلة بالأبراج والكباش ، لدك الأسوار والباب

الرئيسى للمدينة فى حمى الشباك . وهنا ، وما أن تم صدور الأوامر بالهجوم حتى قام الجنوية من فورهم بهجوم مكثف على المراكز المحددة ليل نهار ، فدب الرعب فى نفوس أفراد الحامية ، وأرسل قائدها مبعوثيه ، للتفاوض مع القادة الجنوية وريموند ، على عقد هدنة لمدة " أربعين يوما ، تسلم بعدها المدينة مقابل الأمان فى النفس والمال ، اذا لم تصلهم الامدادات من القوى الاسلامية المجاورة " !! ، وضمانا للوفاء بالاتفاق عرضوا عليهم تسليمهم " مائة من الأمراء ، كرهينة يحتفظون بهم " (٢٧) .

والعجيب أن القادة الجنوية وريموند قد وافقوا ، مما يدعو المرء للتعجب والتساؤل عن دوافعهم فى هذا الشأن !! ؟ خاصة وأنهم قد وافقوا على السماح للحامية بارسال رسلها طلبا للنجدة من " القوى الاسلامية المجاورة " !!! ولكن العجب سرعان ما يتلاشى اذا ما علمنا أن طلب النجدة قد وجه الى ابن مردنيش أمير شرقى الأندلس ، وما أدراك ما هو ! انه صديق الجنوية وريموند برنجيير !! والخائن الذى خذل سكان المرية ، وتركهم يبادون على أيدى نفس القوى الصليبية ، يوم أن دخلوها عنوه فى حملتهم عليها فى العام السابق (١١٤٧م / ٥٤٢ هـ) كما أشرنا آنفا ، فكانت الحامية بطلبها هذا ، مثلها كمثل الظمآن الذى يبسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه ، وما هو ببالغه !! ، أوكمثل المتسجير بالنار من الرمضاء !! ولا شك أن تلك الموافقة قد واكبتها اتصالات فورية فيما بين القادة الجنوية وريموند من جانب ، وابن مردنيش الحليف الصديق من جانب آخر ، كانت محصلتها ، مماطلته الحامية ، وتسويفه فى الاسراع بنجدتها ، ووعدها بارسال المدد فى أقرب فرصة (٢٨) . ولعل ذلك يفسر انقضاء أيام الهدنة دون أن يرسل حتى ولو كسرة خبز تتقوى بها ، أو حجرا أو سهما تدافع بهما عن المدينة !!! مما يؤكد مدى غزارة دماء الخيانة ، وتأصلها فى عروقه .

مهما يكن من أمر ، ومع انتهاء اليوم التاسع والثلاثين من أيام الهدنة الأربعين (الأربعاء ٢٩ ديسمبر / ١٥ شعبان) ، ولعدم وصول

النجدات التى منى ابن مردنيش الحامية بها ـ كما أسلفنا ـ من جهة ، وبسبب طول فترة الحصار التى قاربت ستة أشهر ، ناهيك عن نفاذ الأقوات والذخيرة ، وانهيار الروح المعنوية للحامية من جهة أخرى ، قرر القادة المسلمون تسليم المدينة فى اليوم التالى وحيث رفعت رايات القومون الجنوى وريموند برنجيير فوق قلعة السويطة Sueta الرئيسية ، ايذانا بتسليم المدينة بالأمان حسبما اتفق عليه من قبل ، ولقد تم ذلك بالفعل ، ودخل الصليبيون المدينة صباح يوم الخميس (٣٠ ديسمبر ١١٤٨م / ١٦ شعبان ٥٤٣هـ) (٢٩) .

هذا ، وعقب دخولهم المدينة ، حصل الجنوية على ثلثها ، فضلا عن حصتهم من الغنائم والأموال التى حملوا عليها من ريموند ، كما سلمهم ريموند ثلثى الجزيرة المواجهة للمدينة ، والتى كرست لكنيسة القديس لورنزو كما أسلفنا . ومنذ ذلك الحين عرف ريموند برنجيير باسم كونت برشلونة وأمير أراجون ومركيز طرطوشة ، واستبقى لنفسه ثلثى المدينة . وبعدها عاد الجنوية الى وطنهم الأم بكامل أسطولهم " شاكرين الرب على ما منحهم من فضل ورفعة وسؤدد ، فوصلوها فى أوائل عام ١١٤٩م / أواخر شعبان ٥٤٣هـ " (٣٠) .

هذا ، وبالقاء نظرة عامة على أحداث الحملة ، لكشف نتائجها القريبة والبعيدة ، نجد أن جنوة رغم ما حققته من نصر ومكاسب مادية تجارية وسياسية ، الا أنها لم تكن فى حجم ما أنفقته من أموال طائلة فى اعدادها ، ولم يكن من السهل على القومون تعويضها ، خاصة وأن الأموال الضخمة التى حصلت عليها من حملتيها على المرية وميورقة ، لم تكف مصاريف حملة طرطوشة ، واضطرت للاستدانة من بنك القديس جورج S. Georgio ، والأسرات الجنوية الثرية ، مثل آل نجرو Di Negro ، وآل بكاميليو Picaamiglio ، وآل دوريا D 'Oria (٣١) وظلت جنوة تعانى من أزمة مالية طاحنة ، استمرت سنوات عديدة . هذا ، من جهة ، ومن جهة أخرى ، كان للحملة موضوع البحث ، والحملتين السابقتين ، اللتين قام بهما الجنوية على جزر

البليار والمرية ، أثرها فى خلق جو من الكراهية المشوبة بالفزع والرعب لدى المسلمين ، لما أداروه من مذابح أبادوا فيها سكان المدن التى هاجموها فى المشرق والمغرب والأندلس على حد سواء ، فكان أن تودد اليهم المسلمون درءا لاخطارهم . وعملوا على كسب ودهم ، بمنحهم العديد من الامتيازات التجارية من خلال اتفاقيات وقعوها معهم وعملوا لهم ألف حساب (٣٢) ولعل ذلك يفسر ما أوردته المصادر والمراجع بشأن استسلام حاميات المدن الاسلامية الباقية فى الثغر الأعلى للجنوية وريموند برنجيير الرابع بالأمان ، خوفا من ابادة الجنوية للسكان ، اذا ما قاومتهم ، مثلما حدث بالنسبة لحصن اقليش الذى استسلم فى نفس عام سقوط طرطوشة (١١٤٨ م / ٥٤٣ هـ) ، وبالمثل وفى الرابع والعشرين من ديسمبر ١١٤٩م / ٢١ شعبان ٥٤٤ هـ استسلمت كل من لاردة Lerida ، وافراغه Fraga ، ومكناسة Mequinenza (٣٣) .

هذا ، ومن الأهمية بمكان ، وقبل أن نختتم البحث ، الاشارة ها هنا الى أن الجنوية ، بسبب سوء أحوالهم المالية التى تمخضت عن اعدادهم تلك الحملة وبمكرهم وذكائهم المعهودين عنهم ، قد انتهزوا فرصة الرعب الذى ساد الأندلس بعامة من جراء المذابح التى قاموا بها ضد مسلمى ألمرية ، لتحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب على حسابهم . فكان أن أرسلوا مبعوثهم المدعو وليام لوسيو Guillielmus Lusius الى حليفهم ابن مردنيش ، لعقد " اتفاق صداقة وتحالف معه تقديرا لدوره فى السلام " !! ، وطالبه المبعوث الجنوى بمساعدة القومون فى أزمته المالية الحالية . وقد وافق ابن مردنيش على الفور ، ووقع على معاهدة فى هذا الشأن فى يونيو ١١٤٩م / صفر ٥٤٤ هـ ، لمدة عشر سنوات . هذا ، واسهاما منه فى حل مشاكل وأزمة الجنوية المالية قرر " منحهم خمسة آلاف دينار ذهب كمنحة أولى " ، وتعهد " بمنحهم عشرة آلاف دينار أخرى فى غضون عامين " ، كما منحهم العديد من " الامتيازات التجارية فى بلنسية Valentia ودانية Denia ، وحق ملكية فنادق ، وحمام اسبوعى " فيهما ، وطالب الجنوية المقيمين فى مدينتى

ألمرية وطرطوشة " بعدم التعرض بالأذى للسكان أو بضائعهم فى البر والبحر على حد سواء " (٣٤) .

وبالقاء نظرة فاحصة على مضمون الوثيقة الخاصة بالمعاهدة السابقة ، يتضح لنا مدى صحة ما وصلنا اليه بشأن خيانة ابن مردنيش ، ودوره غير المباشر فى سقوط طرطوشة بأيدى الحملة ويضيف اليه جديدا ، والذى كان محصلة طبيعية لعدم استجابته لنداء النجدة الذى وجهته حاميتها اليه . ولا شك أن موقفه هذا كان مرده الخوف من ردود فعل الجنوية وريموند برنجيير المضادة تجاهه ، مما يعنى خذلانهم اياه ، وعدم تعضيده فى معاركه ضد الموحدين .

وخلاصة القول ، وعلى ضوء ما سبق ذكره ، نقرر بأنه رغم الخسائر المالية التى كبدتها الحملة للجنوية ، وأوقعتهم فى الاستدانة ومتاهاتها كما أسلفنا ، الا أن ثمة أثر ايجابى قد تمخض عنها ، وحقق للجنوية الثروة والمجد والسيادة على عرش التجارة العالمية .

وتفسير ذلك ، أن حاجة الجنوية الى المال ، قد دفعتهم الى اهتبال فرصة الحروب الصليبية التى تلت حملتهم تلك ، وألقوا بدلوهم كاملا فى خضمها على امتداد العصور الوسطى ، وعرضوا خدماتهم على الصليبيين ، وأعدوا لهم السفن وشحنوها بالمقاتلة والميرة والذخيرة ومعدات القتال المختلفة ، بالاضافة الى الماء والنبيذ . ولقد تم ذلك كله مقابل ثمن غال ، تمثل فى حصولهم على ثلث كل مدينة ساهموا فى احتلالها ، فضلا عن العديد من الامتيازات التجارية ، التى تمتعت بها جالياتهم ، كاعفاء من الرسوم والضرائب المقررة على غيرهم من التجار ، ناهيك عن حق ملكية الفنادق والأحياء والحمامات والمخابز والكنائس والحدائق الخاصة فى شتى المدن الأخرى . حدث ذلك فى نفس الوقت ، الذى كنت تجدهم فيه يتعاملون مع المسلمين ويمدونهم بالسلع الحربية الاستراتيجية كالحديد والاخشاب والقار والقطران والرقيق ، رغم قرارات البابوية التى تحرم ذلك . مما أتاح لهم فرصة تحقيق ثروات خيالية على

حساب كلا المعسكرين الصليبى والاسلامى من جهة ، ومن جهة أخرى تربع الجنوية وحدهم على عرش التجارة الشرقية العالمية ، وتحكموا فى أسواقها ، مما أتاح لهم فرصة سداد ديونهم المثقلة ، وتحقيق الثروة والرخاء والمجد للوطن الأم . ولا شك أن ذلك كان مرده نجاح أسلوب وسياسة امساك العصا من المنتصف فى تعاملهم مع المسلمين والصليبيين ، وحيث لم يكن يهمهم عقيدة أو جنس من يتعاملون معه ، طالما كان ذلك فيه صالحهم ، ويحقق لهم الثروة والقوة ، فكانوا بحق جنويين أولا وآخرا (٣٥) .

هوامش البحث

١ ــ مصطفى الكنانى : العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامى (١١٧١ ــ ١٢٩١م / ٥٦٧ ــ ٦٩٠ هـ) ، الاسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ٣ ؛ حملة لويس التاسع الصليبية على تونس (١٢٧٠م / ٦٦٨ ــ ٦٦٩ هـ)، الاسكندرية ١٩٨٥ ، حاشية ٦٦ ص ٢٧١ .

٢ ــ أنظر التفاصيل فى : مصطفى الكنانى : العلاقات بين جنوة والفاطميين فى الشرق الأدنى ، (١٠٩٥ ــ ١١٧٧م / ٤٨٥ ــ ٥٦٧ هـ)، الاسكندرية ، ١٩٨١ ؛ أول محاولة صليبية لغزو مصر ، على ضوء وثيقة لاتينيه ــ دراسة وتحقيق ، الاسكندرية ١٩٨٧ ، وثيقة عهد بلدوين ملك بيت المقدس الصليبى للجنوية ــ دراسة وتحقيق ــ مجلة كلية الآداب بسوهاج ، ١٩٨٦ ، وكذا ، أنظر : مرجعى الحاشية السابقة .

٣ ــ الحقيقة أنه لولا سفرياتى شبه السنوية الى الخارج وزياراتى الى أرشيفات ايطاليا وانجلترا وفرنسا بخاصة ، وحصولى على كافة الوثائق والمصادر الأصلية اللاتينية والايطالية القديمة ، فضلا عن المراجع الايطالية والاسبانية المتصلة بالبحث من قريب أو بعيد ، ما خرج هو وغيره من الأبحاث المماثلة الى حيز النور ، فشكرا لكل من يسر لى سبل الحصول على تلك الوثائق والمصادر وساعد فى اعداد ومراجعة تراجمها .

٤ ــ خلف الموحدون المرابطين فى حكم المغرب والاندلس ، بعد دخولهم مراكش بقيادة عبد المؤمن فى عام ١١٤٧م/٥٤٢ هـ . وقد قامت دعوتهم على أساس الاصلاح الدينى ، ووحدة الأمة الاسلامية ، واعادة الخلافة ، ومؤسسها هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن تومرت الهرغى المصمودى السوسى ، الذى تلقب بالمهدى (الشيخ)، وسمى أعوانه بالموحدين . ولقد ساعده فى نشر الدعوة عبد المؤمن بن على ،

الذى أطلق عليه لقب أمير المؤمنين ، وأمره على الجيش الموحدى ، وقال بانتسابه هو وعبد المؤمن الى الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق الأدارسة ، ولقد انتشرت دعوتهم فى المشرق ومصر ، وحمل لواءها الحفصيون فى افريقية (تونس) بعد سقوط دولتهم فى المغرب بالأندلس . فى هذا الشأن وللمزيد عن الموحدين ، أنظر : البيذق : كتاب أخبار المهدى بن تومرت ، تحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات ، ط٢ ، الجزائر ، ١٩٨٦ ، ص ٢٩ وبعدها ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ط ٦ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٩٨٦ ، جـ ٨ ، ص ٢٩٤ ــ ٣٠١ ، السلاوى : الاستقصا فى أخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق ولدى المؤلف جعفر الناصرى ومحمد الناصرى ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ ، جـ٢ (الدولتان المرابطية والموحدية) ، ص ٩٩ ــ ١١٠ ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، حققه د. سهيل زكار ، والأستاذ عبد القادر رزنامة ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩ ، ص ١٠٣ ــ ١١٩ ، ١٣٧ ــ ١٤٢ ، الزركشى : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تونس ، ١٢٨٩ هـ ، ص ٢ ــ ٦ ، السراج : الحلل السندسية فى الأخبار التونسية ، بيروت ، ١٩٨٤ ، جـ ٢ ، ص ٩٨ ــ ١٠٩ ، العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية ، بدون تاريخ ، ص ١٠٤ ــ ١٢٠ ، أشباخ : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة الأستاذ محمد عبد الله عنان ، ط ٢ ، القاهرة : ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م ، ص ٢٠١ ــ ٢٠٥ .

٥ ــ عن تلك الثورة ونتائجها القريبة والبعيدة ، أنظر : ابن الخطيب : كتاب الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، وما يجر ذلك من شجون الكلام ، نشر أ. ليفى بروفنسال ، القسم الثانى فى أخبار الجزيرة الأندلسية ، رباط الفتح : ١٣٥٣ هـ / ١٩٥٤ م ، ص ٢٨٥ـ ٢٩٠ ، المقرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، حققه د. احسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٨ ، جـ ٦ ، ص ٣٠٥ وحاشية (١) ،

عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، الباب الثالث من كتاب دولة الاسلام فى الاندلس ، القسم الأول ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٣٠٧ ــ ٣٢٣ ، أشباخ :السابق ،ص٢٠٦ــ٢٢٢ ، Lomax, D. W., La Reconquista, Barcelona , 1984, P. 120.

٦ ــ ولد ابن مردنيش فى احدى قلاع طرطوشة بالثغر الأعلى عام ٥١٨هـ ، تولى امارة شرقى الأندلس فى الرابعة والعشرين من عمره (١١٤٧م/ ٥٤٢هـ) ، وذلك عقب مصرع ابن عياض أمير مرسية ، التى آلت اليه مع بلنسية ، والتى كانت فى حوزته من قبل • رفض الخضوع للموحدين ، وظل فى صراع معهم طوال عشرين عاما • تحالف وتصادق مع الجنوية وريموند برنجيير الرابع والفونسو السابع ملك قشتالة ، وصانعهم ووقف معهم ضد الموحدين • ولقد عرفته المصادر اللاتينية باسم " الملك الذئب Rey Lupo or Lobo " رفض مساعدة حاميتى المرية وطرطوشة اثناء هجوم الجنوية والصليبيين عليها فى الاعوام (١١٤٦ ــ ١١٤٨م / ٥٤٠ ــ ٥٤٣هـ) ، توفى عام ١١٧٢م / ٥٦٧هـ ، بعد انقضاض أعوانه من حوله بسبب تحالفه مع الصليبيين • للمزيد انظر : ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٧٤ ،جـ٢ ، ص ١٢١ ــ ١٢٧ ، عنان : السابق ، ص ٣٥٤ ــ ٣٧٢ ، عنان : نفسه (القسم الثانى) ، ص ٣٩ ــ ٤١ ، ٤٦ ــ ٥٣ ، Caffaro, I, P. 113 and nota I; Codera,F., Decadancia Y Desparicion de los Almoravides en Espana, Zaragose, 1899,P. 123 ff.

٧ ــ Caffaro, I, P. 105, Canale, M., Nuova Istoria della Repubblica di Genova del Suo Commercio e della Sua Letteratura dell 'Origini all 'Anno 1797 ; t. I.P.132 ff.,

Foliétae, V., Historiae Genuenseum, Genova, 1585, t. XII, P. 50 f., Giustininani , A. Annali della Repubblica di Genova, Illustrati con note del Prof. F. R. Spotorne , Genova, 1854, I. P. 179; Muratori, L., Annali d'Italia, del Principio dell Era Volgare Sino all 'Anno MDCCXLXIX, Milano,1818, X, P. 247.

٨ ـ Giustiniani, I, P. 188.

٩ ـ عن تفصيلات تلك الحملة ، انظر :

Caffaro, I, PP. 105 - 113 ; Canale, I, P. 139 ff; Giustiniani, I. P. 179 ff.

١٠ـ A. S. G., Materie Politiche, Cod. A, C. 293 B; A. S. G., Matérie Politiche, Cod. D., C. 59 B; Lur., I, Cols. 123, 125; Canale, I, P. 133; Manfroni, I, P. 208 F.;Caffaro, I, P. 105 ff.

١١ـ فى هذا الصدد ، وللمزيد عن أهمية المرية التجارية ، انظر :

Caffaro. I. P. 113; Folietae, P. 51; Giustiniani, I, P. 179 f.

المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ـ ٢٠٢ ، جـ ٣ ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، قاعدة أسطول الأندلس ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ ، ص٩٨ـ٩٩.

١٢ـ تقع على سفح جبل على ضفة نهر الابرو Ibro فى اقليم تاراجونـــا

Tarragone شرقى الاندلس ، وهى مدينة رومانية قديمة ذاعت شهرتها فى عصر أغسطس ، وزادت أهميتها وانتعشت تجارتها فى العصر الاسلامى • وتمتاز بأراضيها الخصبة ، ووفرة معادنها الهامة كالحديد والرصاص والزئبق والرخام والفحم ، وبها قلعة حصينة عرفت باسم السويطة Sueta وتمتاز بدار صناعتها ، وكانت من قواعد أسطول الأندلس الهامة ، وكثيرا ما كانت تخرج منها الاساطيل لمهاجمة سواحل صليبيى أوربا وسفن التموين المتجهة الى صليبيى الشام بعامة ، وسواحل جنوة وبيزا وفرنسا الجنوبية بخاصة ، ولقد حول القطلان مسجدها الجامع الى كاتدرائية • وتمتاز بأسواقها الجامعة (لكل صناعة ومتجر ، وهى باب من أبواب البحر ، ومرقى من مراقيه ، ويرتادها التجار " من كل أنحاء العالم ، وتمتاز بأشجار الصنوبر الفريدة فى نوعها ، وتصنع منها السفن وصواريها • وللمزيد انظر : الحميرى صفة جزيرة الاندلس ، منتخبة من كتاب روض المعطار فى خبر الأقطار ، نشر وتعليق أ • ليفى بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٣٧ ، ص ١١٥ ــ ١١٦ ؛

Folietae, P. 55, Giustiniani, I, 188;EE., Xi P. 364 ; E. A., XXVI, P. 714;P. E.P., P. 740; D. U., 1920.

١٣ــ انظر ما سبق ، ص ٢ ــ ٤ والحواشى (٧، ٩، ١١) • هذا ، وعن تفصيلات الحملة وأسبابها ونتائجها ، انظر : مصطفى حسن الكنانى : حملة الجنوية الصليبية على مدينة المرية الأندلسية ، الاسكندرية ، ١٩٨٩•

١٤ــ فى هذا الشأن ، وعن ظروف زواج ريموند برنجيير تلك ونتائجها ، أنظر : عنان : السابق ، ص ١١٦ ، ٤٩٣ ــ ٤٩٨ ، اشباخ : السابق ، ص ١٦٤ ، ١٦٧ ــ ١٦٨ ،

Livremore, H., History of Spain, London , 1969, P. 111 f.; Altamira, R., A History of Spain from the beginning to the present

day, trans. by Mura Lee, N. Y., 1949, P. 159.

١٥ـ Page Giustiniani, page 188; Caffaro, I, 114; Manfroni, I, P. 213.

١٦ـ تقع فى اقليم لانجدوك Languedoc فى جنوبى فرنسا ، اشتهرت فى العصور الوسطى بجامعتها ، وكلية الطب بالذات ، لها شـــــىء كبير فى مجال التجارة ، تقع على بعد فرسخين من ساحل البحـــــر الابيض المتوسط .
انظر : التطيلى (بنيامين) : رحلة بنيامين ، ترجمها من العبريـة وعلق حواشيها وكتب ملحقاتها عيزرا حداد ، بغداد ، ١٩٤٥ ، ص ٥٣ وحاشية ١ .

١٧ـ Caffaro, I, P. 115 & nota I; Folietae, P. 51, Manfroni, I. P. 214; Accinelli, I, P. 28; Muratori, X, P. 259 f.; Giusteniani , I, P. 188; cf. also : Halphen, L.,L'Essor de la Europe (XI - XIII - Siecles), 2 m ed., Paris, 1941, P. 224.

١٨ـ Caffaro, I, P. 114 ff.; Muratori, X, P. 260; Folietae, n. 55; Canale, I, A.140 f; Giustiniani, I, P. 188; Manfroni, I, A. 140 f; Giustiniani, I, P. 188; Marfroni , I. P. 213 f.

١٩ـ Caffaro, I, P. 115; Giustiniani, I, P. 189; Canale, P. 140.

٢٠ـ Caffaro, I, P. 115 f; Canale, I, P. 140 ; Manfroni, I, P. 214.

٢١ـ Canale, I, P. 140.
جدير بالذكر أن كفارو لم يحدد العدد ، واكتفى بالقول بأن " قوة كبيرة من المقاتلين الجنوية من الشباب المتحمس قد هاجموا المسلمين ، دون أوامر وكانت خسارتهم فادحة " . انظر :
Caffaro, I, P. 115 f.

٢٢ـ Caffaro, I, P. 115 f; Folietae, P. 56 , Giustiniani, I, P. 188 f. ; Canale, I, P. 140.

٢٣ـ Giustiniani, I, P. 189; Canale, I, P.140. Manfroni, I, P. 213 f.

٢٤ـ Caffaro, I, P. 118; Canale, I, P. 140 ; Folietae, P. 56; Manfroni, I, P. 214.

٢٥ـ Lur., I, Cols. 118, 125 ; Manfroni, I,P. 215.
وجدير بالذكر ، ان احتلال طرطوشة وافراغه ، كان أمل حكام برشلونة واراجون على امتداد الفترة السابقة لاحداث الحملة ، خاصة بعد اتحادهما معا تحت حكم ريموند برنجيير الرابع ، نتيجة زواجه من الطفلة بترونيلا ابنة الراهب راميرو ملك اراجون السابق ، انظر : اشياخ : السابق ، ص ١٦٠ ـ ١٦٤ ، ص ١٦٧ ـ ١٦٨ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٤٩٣ ـ ٤٩٨ ،
Lomax, PP. 112, 114; Altamira, P. 159 ; Livromore, P. 112.

٢٦ـ A. C. Sl., Cod. P. A, C. 40 ; Folietae,X, P. 59.

٢٧ـ Caffaro, I, P. 118 ; Canale, I. P.140 f.; Manfroni, I, P. 214.

٢٨ـ Caffaro, I, PP. 118 & nota I, 119 ; Foli-etae, P. 56 ;
Giustiniani, I, P. 190 ; Muratori, X, PP. 259-260 ;
Manfroni, I, P. 214.
وعن أحداث حملة المرية ونتائجها ودور الجنوية فيها ، انظر : مصطفى حسن الكنانى : حملة الجنوية الصليبية على مدينة المرية الاندلسية ٥٤١ / ١١٤٧ ـ ٥٤٢هـ، الاسكندرية ١٩٨٩.

٢٩ـ ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٣ ، ابن الخطيب : الاحاطة ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ ،

Caffaro, I, P. 119 ; Giustiniani, P. 190;
Folietae, X, P. 56 ;
Canale, I, P. 141 ; Manfroni, I, P. 214 ;
Codera, P. 123 ff.; Lafuent, t. 3, P. 104 f.; Lomax, P. 123.

٣٠ـ فى هذا الشأن ، وللمزيد ، انظر :

Caffaro, I, P. 119 ; Giustiniani, P.190 ;
Canale, I, PP. 141, 328 ; Manfroni, I. P. 214 f.

٣١ـ Manfroni, I, P. 214 f.

٣٢ـ انظر مراجع الحواشى ١ ، ٢ ، ٢٨ فيما سبق .

٣٣ـ ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٣ ، ابن الخطيب : الاحاطـــــة ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ .

٣٤ـ A. S. G., Materie Politiche, Cod. D, C. 20 A ; Lur., I, 152.

٣٥ـ عن تفصيلات دور الجنوية الصليبى هذا ، وسياستهم تـــــــلك ، ونتائجها القريبة والبعيدة ، انظر : مراجع الحاشية السابقة رقـــم ٣٢ .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المختصرات الواردة فى الحواشى :

A.C.Sl. = Archivio Capitolare di S. Lorenzo.

A.G. = Annali Genovesidi Caffaro e dei Suoi Continuatori.

Cod.A.C.293 = Alfonso VII re de Castiglia ed Imperatori della Spagna ..... All 'assedio di Almaria .....

Cod.V,C.59 B;= Trattats di alleanzafra conte di Barcellona..... ed i Genovesi .....

Cod.P.A,C.40 = Raimondo IV Conte di Barcellena e ..... durante L'assedio di Tortosa, fa donazione di dui parti ..... alla Chiesa di S. Lorenzo.

Cod.D.,C.20A,= Gugliemo Lusio ambasciatore della Repubblica di Genova Conculde un trattato di pace per dieci anni col re di valenza Boobdele Maometto figlio di Said ..... .

A. S. G. = Archiviodi stato di Genova.

Caffaro = Historia Captionis Almaria et Tortusae, Cf. A. G., I, PP. 105 ff.

D. U. = Dictionnaire Universal D'Histaire et de Ggeographie.

E. A. = Encyclopedia Americana.

E. E. = Enciclopedia Europea.

Lur. = Liber Jurium Republicae Genuensis.

ثانيا : المصادر الاصلية الاوربية :

Accinelli, FR. M.,
Compendio delle Storie di Genova , della Sua Fondazione Simo all 'anno 1776, 4 Parts in one Vol., Genova, 1851.

Alfonso Vii re di Castiglia ed Imperatore della Spagna Prende Impegno di intervenire, nel maggio dell 'anno ventura, col proporio esercito, all 'assedio di Almaria, cf.A.S.G. Materie Politiche cod. A, C. 293 A cf. Lur., I col. 123.

Caffaro di Caschifelone,
Historia Captionis Almaria et Tortusae. cf.A.G., vol. I, PP. 105-119.

Canale. M.,
Nuova Istoria della Repubblica di Genova del Suo Commercio e della suo Letterature dalle Origini all 'Anno 1797, 4 Vols., Fierenze , 1858 - 1860.

Codice Diplomatico della Repubblica di Genova dal Dcccc - Lviii al MC Lxiii, A Curadi Cesare Imperiale de Sant 'Anglo, Vol. I, Roma, 1936.

Folietae, V.,
- Historiae Genuensium,Libri XII, Genova, 1585 ;
- Idem, D'ell 'Istoria di Genova, Libri XII, Tradott. per M. Francesco Ser Donati, Genova,1597.

Giustiniani, A., Annali della Repubblica di Genova, Illustrati con note del Prof. C. G. R. Spotorno 3 3a ed., 2 vols., Genova, 1854.

Guglielmo Lusio ambasciatore della Repubblica di Genova conclude un trattato di pace, per dieci anni, col re di Valenza Boabdele Maometto figlio di Said (Abu. - Abd - Allah Mohammed iln Said Mardanish detto "re Lupo"), cf. A. S. G., Cod. D. 20 A ; cf. Also Lur., I, col. 152.

Muratori, L. A.,
Annli c' Italia, del principio dell 'Era Volgare Sino all 'Anno MDCCXL IX, 18 Vols, 1818 - 1821.

Raimondo IV Conte di Barcellona e Prencipe di Aragona, durante L'assedio di Tortosa, fa donazione di dui parti dell 'isola chesorge nel fiume Ebro di Fronte a Tortosa alla chiesa ; di S. Lorenzo in Genova. Cf. A. C. Sl., cod. P. A., C. 40.

Trattato di Alleanza fra Raimondo Berengario IV Conte di Barcellona e prencipe di Aragona ed i Genovesi, cf. A. S. G., Marerie Politiche, Cod. V, C. 59 B ; Cod. D, C. 59 B ; cf. also : Lur., I, col. 125.

ثالثا : المصادر الاصلية العربية :

ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) ابو الحسن على بن أبى الكرم :

الكامل فى التاريخ ، عنى بمراجعته والتعليق عليه نخبة من الأساتذة ، ١٠ جـ ، بيروت ، ١٩٨٦ .

ابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) لسان الدين بن الخطيب محمد بن عبد الله :

- الاحاطة فى اخبار غرناطة ، تحقيق أ . محمد عبد الله عنان ، ٤ جـ ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٦ ، ١٩٧٨م .
- كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، وما يجر ذلك من شجون الكلام ، الجزء الثانى ، نشر أ . ليفى بروفنسال ، رباط الفتح ، ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .

البيدق (ت حوالى ٥٥٥ هـ / حوالى ١١٦٠م) أبو بكر بن على المنهاجى :

كتاب اخبار المهدى بن تومرت ، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات ، ط ٢ ، الجزائر ، ١٩٨٦ .

التطيلى : (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) :

رحلة بنيامين ، ترجمها عن الاصل العبرى وعلق حواشيها ، عزرا حداد ، بغداد ، ١٩٤٥م .

الحميرى (ت ٨٦٦ هـ / ١٤٦١) ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم :

صفة جزيرة الاندلس ، منتخبة من كتاب روض المعطار ، تحقيق أ . ليفى بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٣٧ .

الزركشى : (من مؤرخى القرن ٩ هـ / القرن ١٥ م) ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللؤلؤى :

تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، ط ١ ، تونس ، ١٢٨٩ هـ .

السراج (ت ١١٤٩ هـ / ١٧٣٧ م) محمد بن محمد بن أحمد بن مصطفى الوزير الاندلسي :

الحلل السندسية في الاخبار التونسية ، ٣ جـ ، ط٠ دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٤٠

السلاوي (ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م) ابو العباس احمد خالد الناصري :

الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق جعفر ومحمد الناصري ، جـ ٢ ٠

(الدولتان المرابطية والموحدية) ، جـ ٣ (الدولة المرينية) ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ ٠

المقرى (ت ١٠٤٢ هـ / ١٦٣١ م) شهاب الدين ابو العباس احمد بن محمد التلمساني :

نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق د٠ احسان عباس ، ٨ جـ ، بيروت ، ١٩٦٨م ٠

مجهول :

كتاب الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، تحقيق د٠ سهيل ذكار والاستاذ عبد القادر زمامة ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩م ٠

رابعا : المراجع الاوربية الثانوية :

Altamira, R.,

A History of Spain, Trans. by Muna Lee, N. Y., 1949.

Codera, F.,

Decandencia Y Desaparicion de Los Almoravides en Espana, Zaragoza, 1899.

Lafuente, M.,
Historia General de Espana, Barcelona, 1899.

Livermore, H.,
History of Spain, London, 1969.

Lomax, D. W.,
La Reconquista, Barcelona, 1984.

Manfroni, C.,
Storia della Marina Iiliana della Invasione Barbariche al Trattolo di Ninfeo (400 - 1261), Vol, I, Livorono, 1899.

Le Mesurier, E. A.,
Genoa : Her Story as writeen inher Buildings, Fice Lectures, Genoa , 1889.

خامسا : المراجع العربية الثانوية :

احمد مختار العبادى (الدكتور) :
— دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ، الاسكندرية ، (بدون تاريخ) .

اشباخ (يوسف) :
— تاريخ الاندلس فى عصر المرابطين والموحدين ، ترجمة أ.محمد عبد الله عنان ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٨ م .

السيد عبد العزيز سالم (الدكتور) :

ـ تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، قاعدة اسطول الاندلس ، الاسكندرية ، ١٩٨٤م.

محمد عبد الله عنان :

ـ عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والاندلس ، القسم ١ـ ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٤ م.

محمد مختار باشا :

ـ التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية ، ط. بولاق ، ١٣١١ هـ.

مصطفى حسن محمد الكنانى (الدكتور) :

ـ العلاقات بين جنوة والفاطميين فى الشرق الادنى (١٠٩٥ ـ ١١٧١ م / ٤٨٨ ـ ٥٥٦٧ هـ) الاسكندرية ، ١٩٨١ .

ـ العلاقات بين جنوة والشرق الادنى الاسلامى (١١٧١ـ ١٢٩١م/ ٥٦٧ ـ ٦٩٠ هـ) الاسكندرية ، ١٩٨١ .

ـ حملة لويس التاسع الصليبية على تونس (١٢٧٠م / ٦٦٨ ـ ٦٦٩ هـ) ، الاسكندرية ١٩٨٥م.

ـ أول محاولة صليبية لغزو مصر عام ١١١٨ م / ٥١١ هـ. على ضوء وثيقة لاتينية ، دراسة وتحقيق ، الاسكندرية ، ١٩٨٧م.

ـ وثيقة عهد بلدوين ملك بيت المقدس الصليبى للجنوية ، دراسة وتحقيق ، مجلة كلية الآداب بسوهاج ،١٩٨٦م،ص٢١٥ـ٢٣٦.

ـ حملة الجنوية الصليبية على مدينة المرية الأندلسية،الاسكندرية، ١٩٨٩.

سادسا : دوائر المعارف والمعاجم :

Dictionaire ; Universal d' Histoire et de Geographie, Paris, 1854.

Enciclopedia Europea, XI Vols., Rome, 1981.

Encyclopedia (The) Americana, The International Refernce Work. 30 Vols. , N. Y., 1927 - 1962.